نفحات من سيرة

أئمة أهل البيت عليهم السلام

تأليف
باقر شريف القرشي

نفحات من سيرة
أئمة أهل البيت عليهم السلام

هوية الكتاب

اسم الكتاب ..... نفحات من سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام

المؤلّف ..... الشيخ باقر شريف القرشي

الإخراج الفنّي والنشر ..... المؤسّسة الإسلامية للبحوث والمعلومات

المطبعة ..... شريعت

عدد النسخ ٢٠٠٠

الطبعة ..... السادسة

سنة الطبع ..... ١٤٢٨هـ.ق ـ ٢٠٠٧ م

شابك ٩ ـ ٨٧ ـ ٨٥٨٩ ـ ٩٦٤

جميع الحقوق محفوظة للمؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات

إيران ـ قم ـ ميدان آزادگان/شارع الشهيد عابدي ـ باقر العلوم٢/ رقم٥

ص. ب: ٢٩٥٩ / ٢٧١٨٥

هاتف: ٦٦٣٦٤٤٧ ـ فاكس: ٦٦١٠٠٠٦

E-mail: contactus@u_of_islam.net

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التحقيق

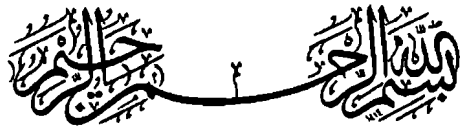

لقد اختار الله عزّ وجلّ أهل البيت عليهم السلام حفظة لسرّه، وخزنة لعلمه، وتراجمة لوحيه، وأدلّاء على صراطه، فعصمهم من الزلل، وطهّرهم من الدنس، وأذهب عنهم الرجس، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1].

لقد أكّد القرآن الكريم على طاعتهم والولاء لهم ومودّتهم كما في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[3]، وغير ذلك من الآيات الكثيرة.

كما أكّد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله على ذلك بحديثه المتواتر: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ ما إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِما لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُما أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ: كِتابَ اللهِ، حَبْلٌ

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) الشورى: ٢٣.

مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ؛ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَلَنْ يَفْتَرِقا حَتّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيْهِمَا » ؛ كلّ ذلك لأنّهم حجج الله تعالى على عباده ، وخلفاء خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله ، وحملة لواء الإسلام ، وكنوز العلم والنور ، فكانوا الأُسوة الحسنة ، والقدوة الصالحة في العبودية المطلقة لله تعالىٰ في جميع أقوالهم وأعمالهم .

فكانت سيرتهم المباركة حافلة بالقيم الرفيعة ، والمُثل العليا ، ونشر العلم والمعارف الإسلامية ، والتضحية ، والإيثار ، والزهد ، والتواضع ، ومساعدة الفقراء والضعفاء وغير ذلك من مكارم الأخلاق التي يبحث الكتاب عنها .

وفي نهاية هذا الحديث أحمد الله عزّ وجلّ الذي وفّقني للقيام بمراجعة نصوصه ومصادره ، وقد نال هذا الكتاب رضا جمهرة من القراء وطبع غير مرة كما ترجم إلى كثير من اللغاته .

وأخيراً لا يسعني إلّا أن أتقدّم بآيات الشكر والامتنان لـ(**المؤسّسة الإسلامية للبحوث والمعلومات**) على نشرها علوم وتراث أهل البيت عليهم السلام .

والحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على محمّد وآله الغرّ الميامين .

مهدي باقر القرشي

١٣ / محرّم الحرام / ١٤٢٤هـ

هؤلاء أئمّة أهل البيت عليهم السلام

نحن أمام أهل البيت عليهم السلام دعاة الإصلاح الاجتماعي، ومصابيح الوعي والفكر في دنيا العرب والإسلام الذين تبنّوا التحرير الكامل لفكر الإنسان وإرادته وسلوكه وإنقاذه من العبودية لغير الله تعالى خالق الكون وواهب الحياة.

إنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام من مغارس النبوّة ومشارق أضوائها، إنّهم من الشجرة المباركة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكلها كلّ حين بإذن ربّها، فهم جزء لا يتجزأ من حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الذي رفع مستوى الإنسان من مساوئ الحياة التافهة إلى حياة مشرقة تزدهر بالوعي والنور... ونبدأ بالحديث الموجز عن سيّدهم الإمام علي عليه السلام:

الإمام المهدي

عجل الله تعالى فرجه الشريف

الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

نحن أمام أمل الإنسانية المعذّبة التي دمّرتها الحروب، وفتكت بها أطماع المستعمرين، نحن أمام العدل الصارم الذي يمحو الظلم، ويسحق الاستعباد ويحطّم الجور ويشيع الرحمة ويبسط المحبة والمودّة بين الناس ويملأ قلوب المحرومين والبؤساء رجاءً ورحمة.

نحن أمام قائم آل محمّد عليه السلام الذي أعدّه الله تعالى لإصلاح العالم، وتغيير منهاج الأنظمة الفاسدة التي هبطت بالإنسان إلى مستوى سحيق ما له من قرار.

نحن أمام من اختاره الله وأعدّه ليملأ الدنيا قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

إنّ الله تعالى اختار للإصلاح الشامل أعظم ولي من أوليائه، ومن أشجعهم قلباً، ومن أنفذهم بصيرة، ومن أكثرهم نكراناً للذّات، وحسبه شأناً ومكانةً أنّه من أهل البيت الذين زكّاهم الله وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. ونعرض بإيجاز لبعض شؤونه.

الوليد العظيم

وأشرقت الدنيا بولادة المصلح الأكبر الذي يعيد للإسلام بهجته ونعمته على الناس، وينقذهم من الظلمات والجور والطغيان، وكان من عظيم لطف الله تعالى أن أخفى حمله وولادته كما أخفى حمل وولادة نبيّه موسى بن عمران. وقد روى

المؤرّخون كيفيّة ولادته، فقد ذكروا أنّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام دعا عمّته السيّدة الجليلة حكيمة بنت الإمام محمّد الجواد، وكانت تضارع جدّتها فاطمة الزهراء ـ سلام الله عليها ـ في عبادتها وعفّتها وطهارتها، ولمّا مثلت عنده قابلها الإمام بمزيد من الحفاوة والتكريم وقال لها: «يا عَمَّةُ، اجْعَلِي اللَّيْلَةَ إِفْطارَكِ عِنْدِي، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيَسُرُّكِ بِوَلِيِّهِ وَحُجَّتِهِ عَلىٰ خَلْقِهِ، وَخَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي».

وغمرت السيّدة حكيمة موجات من الفرح والسرور وراحت تقول: جعلت فداك يا سيّدي، الخلف ممّن؟

قال عليه السلام: «مِنْ سَوسَنْ».

ونظرت السيّدة حكيمة إلى سوسن فلم ترَ عليها آثار الحمل فقالت للإمام: إنّها غير حامل.

وتبسّم الإمام، وقال لها بلطف: «إِذا كانَ وَقْتُ الْفَجْرِ يَظْهَرُ لَكِ بِها الْحَبَلُ، فَإِنَّ مَثَلَها مَثَلُ أُمِّ مُوسىٰ لَمْ يَظْهَرْ بِها الْحَبَلُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِها أَحَدٌ إِلىٰ وَقْتِ وِلَادَتِها؛ لأَنَّ فِرْعَونَ كانَ يَشُقُّ بُطُونَ الْحُبالىٰ فِي طَلَبِ مُوسى، وَهٰذا نَظِيرُ مُوسىٰ»[1].

---

(١) بحار الأنوار ١٣: ١٠.

وقامت السيّدة الزكيّة حكيمة من عند ابن أخيها، فلمّا حان وقت صلاة المغرب قامت فأدّت الفريضة، ثمّ تناولت الإفطار مع السيّدة سوسن أُمّ الإمام المنتظر، ثمّ عمدت بعد ذلك إلى فراشها، ولـمّا حلّ الهزيع الأخير من الليل نهضت فأدّت صلاة الليل، وحينما بلغت الركعة الأخيرة وهي صلاة الوتر وثبت السيّدة سوسن وهي فزعة مضطربة، فأدّت نافلة الليل، وبعد الفراغ منها أحسّت بالطلق، وبادرت نحوها السيّدة حكيمة فقالت لها: هل تحسّين شيئاً؟

فأجابتها بفزع واضطراب: إنّي لأجد أمراً شديداً.

وهدّأت السيّدة حكيمة روعتها وقالت لها بعطف وحنان: لا خوف عليك إن شاء الله.

ولم يمضِ قليل من الوقت حتّى ولدت السيّدة سوسن وليدها العظيم الذي سيطهّر الأرض من رجس الطغاة وجور الظالمين ويقيم حكم الله تعالى في الأرض.

ولـمّا بشّر الإمام الزكي الحسن عليه السلام بالمولود المبارك أحاطت به موجات من الفرح والسرور، وجعل يفنّد مقالة الظالمين من حكّام بني العبّاس الذين زعموا أنّهم سيقتلونه ويحرمونه من النسل قائلاً: «زَعَمَ الظَّلَمَةُ أَنَّهُمْ يَقْتُلُونِي لِيَقْطَعُوا هٰذَا النَّسْلَ، فَكَيْفَ رَأَوْا قُدْرَةَ اللهِ؟!»[1].

مراسيم الولادة

واستقبل الإمام الحسن عليه السلام وليده المبارك بمزيد من الابتهاج والسرور، وأجرى عليه مراسيم الولادة الشرعيّة، فأذّن في أُذنه اليمنى وأقام في اليسرى، وقد اخترق سمعه صوت: «الله أكبر... لا إله إلّا الله».

---

(١) حياة الإمام محمّد المهدي عليه السلام: ٢٤.

لقد غذّاه بهذه الكلمات التي هي سرّ الوجود، والتي هي من أهمّ رسالات الأنبياء عليهم السلام. وقد نطق الوليد بالآية المباركة: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[1].

لقد ولد الإمام الأعظم بهذه الصورة من الخفاء والكتمان خوفاً عليه من السلطة العبّاسية التي كانت تراقبه بمزيد من الاهتمام لتصفيته جسديّاً معتقدة أنّه هو الذي يزيل حكمهم.

وعلى أيّة حال، فقد تناولت السيّدة حكيمة الوليد المبارك وقبّلته وقالت: شممت منه رائحة طيّبة ما شممت قطّ أطيب منها، وأخذه الإمام وقال: «أَستَودِعُكَ الَّذي اِسْتَوْدَعَتْهُ أُمُّ مُوسى، كُنْ في دِعَةِ اللهِ وَسِترِهِ وَكَنَفِهِ وَجِوارِهِ».

ثمّ التفت الإمام عليه السلام إلى عمّته قائلاً: «أُكْتُمِي خَبَرَ هٰذَا الْمَوْلُودِ، وَلَا تُخْبِرِي بِهِ أَحَداً حَتّىٰ يَبْلُغَ الْكِتابُ أَجَلَهُ»[2].

إطعام عام

وأمر الإمام الحسن عليه السلام بعد ولادة وليده المبارك بشراء كمّيات كثيرة من اللحم والخبز لتنفق على فقراء سامراء[3]، كما عقّ عنه بسبعين كبشاً وبعث بأربع ذبائح منها إلى إبراهيم وكتب إليه بعد البسملة:

«هٰذِهِ عَنْ ابْنِي مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ، كُلْ مِنْها وَأَطْعِمْ مَنْ وَجَدْتَ مِنْ شِيعَتِنا»[4].

---

(١) القصص: ٥ ـ ٦.

(٢) حياة الإمام محمّد المهدي عليه السلام: ٢٤.

(٣) بحار الأنوار ١٣: ٣.

(٤) بحارالأنوار ١٣: ١٠.

تباشير الشيعة بولادته عليه السلام

عمّت الفرحة الكبرى الأوساط الشيعيّة بولادة الإمام المهدي عليه السلام وغمرتهم موجات من السرور بولادته، وتوافدوا على الإمام أبي محمّد يهنئونه بمولوده المبارك، كان منهم الحسن بن الحسن العلوي، قال: دخلت على أبي محمّد الحسن بن عليّ فهنّأته بولادة ابنه القائم بسرّ من رأى[١]، وقيل لحمزة بن أبي الفتح: البشرى، ولد البارحة مولود لأبي محمّد، فقال: ما اسمه؟ فقيل له: محمّد، وكنّي بأبي جعفر[٢].

تسميته عليه السلام

وسمّي الإمام العظيم باسم جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الذي فجّر ينابيع الحكمة والعلم في الأرض، وقد اتّفق الرواة أنّ الذي سمّاه بهذا الاسم المبارك جدّه الرسول صلى الله عليه وآله[٣]، ولقّب بالمهدي لأنّه يهدي إلى دين الحقّ[٤]، وهذا اللقب من أكثر ألقابه شيوعاً وانتشاراً بين الناس.

عرضه عليه السلام على الشيعة

عرض الإمام الزكي الحسن عليه السلام وليده العظيم على خلّص شيعته وخيارهم حتّى لا يجحده جاحد، ولا يرتاب في وجوده مرتاب، وكان عددهم أربعين رجلاً كان منهم: محمّد بن أيّوب، ومحمّد بن عثمان، ومعاوية بن حكيم، وقال لهم

---

(١) الغيبة (الطوسي): ٣٨.

(٢) حياة الإمام محمّد المهدي عليه السلام: ٢٦.

(٣) عقد الدرر: ٥٣.

(٤) بحار الأنوار ١٣: ١٠.

الإمام: «هذا إمامُكُمْ مِنْ بَعْدِي، وَخَلِيْفَتِي عَلَيْكُمْ، أَطِيْعُوهُ، وَلَا تَتَفَرَّقُوا مِنْ بَعْدِي فِي أَدْيانِكُمْ فَتَهْلِكُوا، أَما إِنَّكُمْ لَا تَرَوْنَهُ بَعْدَ يَوْمِكُمْ هٰذا»[1].

لقد أقام الإمام الحجّة على شيعته وعرّفهم بإمامهم ليكونوا شهداء صدق يؤدّون أمانتهم إلى غيرهم.

عبادته عليه السلام

والشيء المحقّق أنّ عبادة الإمام المنتظر عليه السلام كعبادة آبائه الأئمّة الطاهرين الذين وهبوا حياتهم لله تعالى، فقد أنفقوا معظم حياتهم في طاعة الله والتبتّل إليه صائمين نهارهم قائمين في لياليهم، قد خلدوا إلى الصلاة والدعاء وقراءة القرآن، وعلى هذا الخطّ المشرق يسير الإمام المنتظر عليه السلام، وقد نقل الرواة كوكبة من أدعيته الشريفة التي كان يدعو بها في صلاته وقنوته، وهي تنمّ عن مدى تعلّقه بالله تعالى وإنابته إليه، وقد ذكرنا بعضها في كتاب (حياة الإمام محمّد المهدي عليه السلام).

مثله العليا

ما من صفة من صفات الكمال إلّا وهي من عناصر المصلح الأعظم سلام الله عليه، فقد خلقه الله من نور، وهذّبه من كلّ نقص، وطهّره من كلّ رجس، وادخره لإصلاح عباده وإقامة دينه، ومن بين صفاته:

١ ـ سعة علومه

والشيء المحقّق أنّ الإمام المهدي عليه السلام من أوسع الناس ومن أكثرهم إحاطة ودراية

---

(١) ينابيع المودّة: ٤٦٠.

بجميع أنواع العلوم والمعارف القديمة والحديثة، فليس في دنيا الوجود علم إلّا وهو متميّز ومتمرّس به، وقد أدلى آباؤه الأئمّة العظام ـ سلام الله عليهم ـ بسموّ منزلته العلميّة قبل أن يُخلق، استمعوا إلى أقوالهم:

١ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في صفنه:

«هُوَ أَوْسَعُكُمْ كَهْفاً، وَأَثَرُكُمْ عِلْماً، وَأَوْصَلُكُمْ رَحِماً»[١].

٢ ـ روى الحارث بن المغيرة قال: قلت لأبي عبدالله الحسين بن عليّ عليه السلام:

بأيِّ شيء يُعْرَفُ المهديّ؟ قال: «بِمَعْرِفَةِ الْحَلالِ وَالْحَرَامِ، وَبِحاجَةِ النّاسِ إِلَيْهِ، وَلَا يَحْتاجُ إِلَى أَحَد»[٢].

٣ ـ قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام:

«يَكُونُ هٰذَا الْأَمْرُ ـ أي الإمامة ـ فِي أَصْغَرِنا سِنّاً، وَأَجْمَلِنا ذِكْراً، وَيُورِثُهُ اللهُ عِلْماً، وَلَا يَكِلُهُ إِلىٰ نَفْسِهِ»[٣].

وقد ورد عن سعة علومه أنّه إذا ظهر عليه السلام يحاجج اليهود بأسفار التوراة فيسلم أكثرهم[٤].

وكان عليه السلام في أيام الغيبة الصغرى المرجع الأعلى للعالم الإسلامي في الفقه وغيره، وكان نوّابه الأربعة يرفعون إليه المسائل التي يسأل المسلمون عن أحكامها فيجيبهم عنها، وقد حفلت موسوعات الفقه الإمامي بالكثير من أجوبته الفقهيّة التي يستند إليها فقهاء الإماميّة فيما يفتون به من أحكام، وقد احتفظ

---

(١) الغيبة (النعماني): ٢١٤.

(٢) عقد الدرر: ٦٩.

(٣) عقد الدرر: ١٠٩.

(٤) حياة الإمام محمّد المهدي عليه السلام: ٣٩.

الشيخ الصدوق ـ نضّر الله مثواه ـ بمجموعة كبيرة من فتاواه المكتوبة بخطّه الشريف[١].

والشيء المحقّق أنّه إذا ظهر عليه السلام فيلتقي بخدمته جميع علماء الدنيا من أطبّاء وفيزيائيّين ومخترعين وغيرهم فيمتحنونه فيجيبهم بأحسن جواب وأسداه، فيدخلون في حظيرة الإسلام ولا يبقى أحد إلّا يدين بإمامته.

٢ ـ زهده عليه السلام

وتشابهت سيرة أئمّة الهدى عليهم السلام في جميع مجالاتها الفكرية والعلمية، والتي منها الزهد في الدنيا، والرفض الكامل لجميع ملذّاتها ومباهجها، فلا تقرأ سيرة إمام منهم إلّا وتجد البارز في حياته الزهد في الدنيا، وقد اقتدوا بسيّدهم سيّد العترة الطاهرة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام الذي طلّق دنياه ثلاث مرّات لا رجعة له فيها، على هذا المنهج المشرق سار أبناؤه وأحفاده. وقد أُثرت كوكبة من الأخبار عن أئمّة الهدى عن زهد الإمام المنتظر قبل أن يولد، وهذه بعضها:

١ ـ روى معمّر بن خلّاد عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه قال: «**ما لِباسُ الْقائِمِ إلَّا الْغَلِيظُ، وَما طَعامُهُ إلَّا الْجَشِبُ**»[٢].

٢ ـ روى كلّ من عليّ بن أبي حمزة ووهيب عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**ما تَسْتَعْجِلُونَ بِخُروجِ الْقائِمِ، فَوَاللهِ ما لِباسُهُ إلَّا الْغَلِيظُ، وَما طَعامُهُ إلَّا الشَّعِيرُ الْجَشِبُ**»[٣].

---

(١) حياة الإمام محمّد المهدي عليه السلام: ٣٩.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٣٥٩.

(٣) الغيبة (النعماني): ٢٣٤.

٣ ـ روى أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ما لِباسُهُ إلّا الْغَليظُ، وما طَعامُهُ إلّا الْجَشِبُ»[١].

ولو لم تكن سيرته على هذا النحو من الزهد في الدنيا لما اختاره الله تعالى لأعظم دور إصلاحي منذ خلق الله تعالى الأرض، فهو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وينقذ الإنسان المجهود المكدود من ظلم الجائرين وغطرسة الحاكمين، ويوزّع خيرات الله على البؤساء والمحرومين فلا يبقى شبح للفقر ولا ظلّ للحرمان.

٣ ـ صبره عليه السلام

وظاهرة أُخرى من نزعات الإمام المنتظر وصفاته: الصبر على المحن والخطوب، فهو من أعظم الأئمّة محنة وأشدّهم بلاء، فهو يرى ويشاهد في هذه الفترات الطويلة من الزمن الأحداث الجسام التي داهمت العالم الإسلامي ومن أقساها أنّ الأُمّة الإسلامية بجميع شرائحها وقعت فريسة بأيدي المستعمرين الكافرين فأشاعوا فيها المنكرات وعطّلوا أحكام الله وحدوده، ونهبوا الثروات، وتحكّموا في قضاياها المصيرية، والإمام بحكم قيادته الروحيّة والزمنية وأُبوّته العامّة لجميع المسلمين يرى هذه النكبات وقد خلد إلى الصبر، وفوّض أُموره إلى الله تعالى حتّى يأذن له، ويأمره بالخروج إلى ساحات الجهاد.

٤ ـ شجاعته عليه السلام

أمّا الإمام المهدي عليه السلام فهو من أشجع الناس قلباً، ومن أربطهم جأشاً، ومن

---

(١) الغيبة (النعماني): ٢٣٣.

أقواهم عزيمة، فهو كجدّه الرسول صلى الله عليه وآله في قوّة بأسه وصلابة إرادته، فقد قابل صلى الله عليه وآله ذئاب الشرك من القرشيّين وكواسر الكفر والإلحاد الذين جهدوا على لفّ لواء الإسلام وإطفاء نور الله تعالى إلّا أنّه بقوّة إرادته حصد رؤوسهم ومزّق جنودهم، ورفع كلمة الله عالية في الأرض، وبنفس هذا الدور المشرق يقوم سبطه وخليفته الإمام المنتظر فيسقي الظالمين والمتجبّرين كأساً مصبّرة ويعيد للإسلام كرامته ومجده. لا يعرف الوهن، ولا تقف أمامه أيّة قوّة في العالم، وتخضع جميع شعوب الأرض لحكمه، وترتفع راية التوحيد في جميع عواصم العالم.

٥ ـ سخاؤه عليه السلام

أمّا الإمام المنتظر عليه السلام فهو من أندى الناس كفّاً، ومن أكثرهم جوداً، وأعظمهم سخاءً، وفي ظلّ حكمه لا يبقى ظلّ للفقر والحرمان، ولنستمع إلى بعض ما أُثر من آبائه من الأحاديث عن كرمه:

١ ـ روى أبو سعيد عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه تحدّث عن سخاء الإمام المهدي عليه السلام: «إنَّ الرَّجُلَ يَجِيءُ إلَيهِ فَيَقُولُ لَهُ: يَا مَهدِي، أَعطِنِي أَعطِنِي؟! فَيَحْثي لَهُ فِي ثَوبِهِ مَا استَطَاعَ أن يَحمِلَهُ»[1].

٢ ـ روى جابر قال: أقبل رجل على الإمام أبي جعفر عليه السلام وأنا حاضر، فقال له: رحمك الله، اقبض هذا الخمس مائة درهم فضعها في مواضعها، فإنّها زكاة أموالي، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «بَلْ خُذْها أَنْتَ فَضَعْها فِي جِيرانِكَ وَالأَيْتامِ وَالْمَساكِينِ، وَفِي إِخْوانِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّما يَكُونُ هٰذا إذا قامَ قائِمُنا فَإِنَّهُ يُقَسِّمُ

---

(١) صحيح الترمذي ٤: ٥٠٦. كنز العمال ١٤: ٢٦٢، ٢٧٣. الطرائف: ١٧٨.

بِالسَّوِيَّةِ، وَيَعْدِلُ فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ؛ الْبرُّ مِنْهُمْ وَالْفاجِرِ، فَمَنْ أَطاعَهُ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصاهُ فَقَدْ عَصَى اللهَ، فَإِنَّما سُمِّي الْمَهْدِيُّ لِأَنَّهُ يَهْدِي لِأَمْرٍ خَفِيٍّ، يَسْتَخْرِجُ التَّوْراةَ وَسائِرَ الْكُتُبِ مِنْ غارٍ بـ(أَنْطاكِيَةَ)، فَيَحْكُم بِأَهْلِ التَّوْراةِ بِالتَّوْراةِ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِالْإِنْجِيلِ، وَبَيْنَ أَهْلِ الزَّبُورِ بِالزَّبُورِ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْفُرْقانِ بِالْفُرْقانِ، وَتُجْمَعُ إِلَيْهِ أَمْوالُ الدُّنْيا كُلُّها، ما فِي بَطْنِ الْأَرْضِ وَظَهْرِها، فَيَقُولُ لِلنّاسِ: تَعالُوا إِلى ما قَطَعْتُمْ فِيهِ الْأَرْحامَ ـ أشار إلى الأموال ـ وَسَفَكْتُمْ فِيهِ الدِّماءَ، وَرَكِبْتُمْ فِيهِ مَحارِمَ اللهِ، فَيُعْطِي شَيْئاً لَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ كانَ قَبْلَهُ»[1].

إلى غير ذلك من الأخبار التي أعلنت أنّه ـ سلام الله عليه ـ بحر من الكرم والجود، وأنّه يحسن إلى جميع خلق الله فينقذهم من غائلة العُري والجوع ويشيع فيهم الغنى.

٦ ـ صلابته عليه السلام في الحقّ

أمّا الإمام المنتظر عليه السلام فهو من أصلب المدافعين عن الحقّ، لا تأخذه لومة لائم، شأنه شأن آبائه الطاهرين الذين ناصروا الحقّ وقدّموا أرواحهم قرابين لإشاعة العدل الاجتماعي بين الناس.

وإذا أشرقت الدنيا بظهور قائم آل محمّد صلى الله عليه وآله فإنّه يقيم الحقّ بجميع رحابه ومفاهيمه، ولا يدع ظلاً للغبن والظلم إلّا دمّره وقضى عليه.

الغيبة الصغرى

وكان من عظيم لطف الله تعالى على الإمام المنتظر أن حجبه عن عيون الظالمين

---

(١) حياة الإمام محمّد المهدي عليه السلام: ٤٥.

من بني العبّاس الذين جهدوا على تصفيته جسديّاً، فقد خرج من بينهم وهم لا يشعرون كما حجب جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله عن أبصار القرشيّين الذين اجتمعوا على قتله. ونتحدّث بإيجاز عن شؤون الإمام المهدي عليه السلام في غيبته الصغرى، وما يرتبط بذلك من بحوث:

زمان الغيبة

أمّا الغيبة الصغرى فبدأت عند وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام سنة (٢٦٠هـ)[١]، ففي هذا الوقت احتجب عن أعين الناس إلّا أنّه كان يلتقي بخيار المؤمنين والصالحين.

المكان الذي احتجب فيه

أمّا المكان الذي احتجب فيه الإمام عليه السلام فهو في داره الواقعة في سامراء، والتي فيها مرقد جدّه وأبيه.

ومن الغريب جدّاً ما ذهب إليه بعض الحاقدين على الشيعة أنّه غاب في السرداب الكائن في سامراء أو غيره، وأنّهم يقفون في كلّ ليلة بعد صلاة المغرب بباب السرداب في سامراء وهم يهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتّى تشتبك النجوم، ثمّ ينفضّون، ويُرجون الأمر إلى الليلة الآتية، وهم على ذلك العهد[٢]، وهذا من المخاريق التي لا سند لها، وهي تدلّ على الحقد لآل البيت وشيعتهم، أمّا السرداب الكائن في سامراء فقد كان مصلّى لثلاثة أئمّة من أئمّة أهل البيت عليهم السلام حجج الله تعالى على خلقه، ولم يذهب أحد من علماء الشيعة ومؤرّخيهم

---

(١) مرآة الجنان ٢: ٤٦٢. تاريخ الخميس ٢: ٣٤٧. تاريخ ابن الوردي ١: ٣٦٩.

(٢) مقدّمة ابن خلدون: ٣٥٩.

أنّه غاب فيه أو في غيره من السراديب التي ذكرها بعض من لا حريجة له في الدين، وقد عرضنا إلى زيفهم في كتابنا (حياة الإمام محمّد المهدي عليه السلام).

سفراؤه الممجّدون

وأقام الإمام المنتظر عليه السلام كوكبة من خيار العلماء والصالحين سفراء له كانوا واسطة بينه وبين الشيعة، وكانت مهمّتهم حمل المسائل الشرعية إلى الإمام وجوابه عنها، أمّا الوكلاء، فهم:

١ ـ عثمان بن سعيد رحمه الله:

هو أوّل وكلاء الإمام عليه السلام، كان ثقة زكيّاً أميناً، وقد قام بدور إيجابي ومتميّز في خدمة الأئمّة عليهم السلام في أيام الطاغية المتوكّل الذي فرض الحصار الاقتصادي على الإمام الهادي عليه السلام، فمنع من إيصال الحقوق الشرعية إليه، وكانت تصل على يد عثمان بن سعيد فيجعلها في زقاق السمن ويبعثها إلى الإمام الهادي، ومن بعده إلى ولده الإمام الحسن العسكري، وبذلك فقد رفع الضائقة الاقتصادية عنهم. وكان عثمان همزة وصل بين الإمام عليه السلام وشيعته، وقد تولّى عنه النيابة المطلقة والوكالة العامّة، فكان يحمل إليه حقوقهم ورسائلهم.

وفاته رحمه الله

انتقل إلى حظيرة القدس ودفن في مقرّه الأخير في بغداد بجانب الرصافة، وله قبر مشيد يزوره المؤمنون.

تأبين الإمام الحجة عليه السلام له

وأبّن الإمام المنتظر عليه السلام الفقيد العظيم بكلمة بعثها إلى نجله العالم المقدّس محمّد بن عثمان جاء فيها:

«إنّا لِلّهِ وَإنّا إلَيْهِ راجِعُونَ، تَسْلِيماً لِأَمْرِهِ، وَرِضاً بِقَضائِهِ، عاشَ أَبُوكَ سَعِيداً وَماتَ حَمِيداً، فَرَحِمَهُ اللهُ وَأَلْحَقَهُ بِأَوْلِيائِهِ وَمَوالِيهِ، فَلَمْ يَزَلْ مُجْتَهِداً فِي أَمْرِهِم، ساعِياً إلىٰ ما يُقَرِّبُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إلَيْهِمْ، نَضَّرَ اللهُ وَجْهَهُ، وَأَقالَ عَثْرَتَهُ. أَجْزَلَ اللهُ لَكَ الثَّوابَ، وَأَحْسَنَ لَكَ الْعَزاءَ، وَرُزِئْتَ وَرُزِئْنا، وَأَوْحَشَكَ فِراقُهُ وَأَوْحَشَنا، فَسَرَّهُ اللهُ مَعَ مُنْقَلَبِهِ، وَكانَ مِنْ سَعادَتِهِ أَنْ رَزَقَهُ اللهُ وَلَداً مِثْلَكَ يَخْلُفُهُ مِنْ بَعْدِهِ وَيَقُومُ مَقامَهُ بِأَمْرِهِ وَيَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ، وَأَقُولُ: الْحَمْدُ لِلّهِ فَإِنَّ الْأَنْفُسَ طَيِّبَةٌ بِمَكانِكَ، وَما جَعَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيكَ وَعِنْدَكَ وَقَوّاكَ وَعَضَدَكَ وَوَفَّقَكَ، وَكانَ لَكَ وَلِيّاً وَحافِظاً وَراعِياً...»[1].

وحكت هذه الكلمات مدى حزن الإمام على نائبه الذي كان من عناصر الإيمان، كما أعرب الإمام عليه السلام عن ثقته البالغة بولده محمّد الذي توفّرت فيه جميع صفات الكمال.

٢ ـ محمّد بن عثمان رضي الله عنه:

وتولّى محمّد بن عثمان شرف النيابة عن الإمام المنتظر عليه السلام، فقد كان من ثقات الشيعة ومن علمائها المبرزين، وكان كأبيه موضع ثقة الجميع، وكانت رسائل الشيعة وحقوقهم تصل إليه وهو بدوره يوصلها إلى الإمام عليه السلام، ويحمل إليهم أجوبتها بتوقيعه، وقد كتب الإمام في حقّه إلى محمّد بن إبراهيم الأهوازي ما نصّه: «لَمْ يَزَلْ ـ أي محمّد ـ ثِقَتَنا فِي حَياةِ الْأَبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضاهُ، وَنَضَّرَ وَجْهَهُ، يَجْرِي عِنْدَنا مَجْراهُ، وَيَسُدُّ مَسَدَّهُ، وَعَنْ أَمْرِنا بِأُمُرُ الابْنُ وَبِهِ يَعْمَلُ، تَوَلّاهُ اللهُ فانْتَهِ إلىٰ قَوْلِهِ»[2].

---

(١) بحار الأنوار ١٣: ٩٦.

(٢) حياة الإمام محمّد المهدي عليه السلام: ١٢٤.

انتقل إلى حظيرة القدس في آخر جمادى الأُولى سنة (٣٠٥هـ)[١].

٣ ـ الحسين بن روح رضي الله عنه :

هو النائب الثالث للإمام المنتظر عليه السلام ، وكان على جانب كبير من التقوى والصلاح ووفور العلم والعقل ، وقد تولّى شرف النيابة عن الإمام عليه السلام بعد وفاة محمّد بن عثمان ، وهو الذي أرشد إليه ، فقد قال لوجوه الشيعة حينما سألوه عن الشخص الذي يخلفه : هذا أبوالقاسمِ الحسينُ بنُ رُوحِ بنِ أبي بحر النوبختيّ القائم مقامي ، والسفيرُ بينكم وبين صاحب الأمرِ عجّل الله فَرَجَهُ ، وَالوكيل له والثقة الأمين ، فارجعوا إليه في أُموركم ، وعوّلوا عليه في مهمّاتكم ، وبذلك أُمرت وقد بلّغت[٢].

وقد جرت بينه وبين معاند للحق مناظرة رائعة تغلّب فيها الحسين على خصمه ، فأُعجب بها محمّد بن إبراهيم بن إسحاق ، فقال له : هل هذا من عندك أو أخذته من أئمّة الهدى ؟

فأجابه الحسين : يا محمّد بن إبراهيم ، لئن أخرّ من السماء إلى الأرض فتخطفني الطير أو تهوي بي الريح في مكان سحيق أحبّ إليَّ من أن أقول في دين الله برأي ومن عند نفسي ، بل ذلك من الأصل ، ومسموع من الحجّة صلوات الله وسلامه عليه[٣].

بقي سفيراً عن الإمام عليه السلام إحدى أو اثنتين وعشرين سنة ، وكان المرجع للشيعة

---

(١) حياة الإمام محمّد المهدي عليه السلام : ١٢٦.

(٢) منتخب الأثر : ٣٩٧.

(٣) منتخب الأثر : ٣٩٧. الغَيبة (الطوسي) : ٣٨٦.

والواسطة الأمين بينهم وبين الإمام، ومرض أياماً حتّى أدركته المنيّة، وانتقل إلى جوار الله تعالى سنة (٣٢٦هـ)[١]، وقد جهّز وشيّع بتشييع حافل، ودفن في مقرّه الأخير الواقع في بغداد في سوق الشورجة التي هي مركز تجاري في بغداد.

٤ ـ عليّ بن محمّد السمري رحمه الله:

تقلّد النيابة العامّة عن الإمام عليه السلام بنصّ منه، وهو آخر وكلاء الإمام عليه السلام، وقد أدّى النيابة بصدق وإخلاص. ويقول الرواة: إنّه قبل وفاته أخرج إلى الشيعة رسالة موقّعة من قِبل الإمام المنتظر عليه السلام جاء فيها بعد البسملة:

«يا عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ السَّمَرِيَّ، أَعْظَمَ اللهُ أَجْرَ إِخْوانِكَ فِيكَ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، ما بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَوْتِ سِتَّةَ أَيّامٍ، فَاجْمَعْ أَمْرَكَ، وَلَا تُوْصِ إِلىٰ أَحَدٍ فَيَقُومَ مَقامَكَ بَعْدَ وَفاتِكَ، فَقَدْ وَقَعَتِ الْغَيْبَةُ التّامَّةُ، فَلا ظُهُورَ إِلَّا بِأَمْرِ اللهِ تَعالىٰ ذِكْرُهُ، وَذٰلِكَ بَعْدَ طُولِ الْأَمَدِ، وَقَسْوَةِ الْقُلُوبِ، وَامْتِلاءِ الْأَرْضِ جَوْراً، وَسَيأْتِي عَلىٰ شِيْعَتِي مَنْ يَدَّعِي الْمُشاهَدَةَ فَهُوَ كَذّابٌ مُفْتَرٍ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»[٢].

ويواجهنا في هذه الرسالة أنّها نفت من يدّعي المشاهدة للإمام بعد الغيبة الكبرى ووسمته بأنّه كاذب مفتر، مع أنّه من المقطوع به أنّه قد تشرّف بخدمته والاستماع إلى حديثه جمهرة من المؤمنين الأخيار، وقد أُوّل الحديث بتأويلات متعدّدة، لعلّ من أجودها أنّ من يدّعي مشاهدته للإمام على نحو السفارة والنيابة عنه على غرار سفرائه الأربعة فهو كاذب مفترٍ، ولعلّ هذا

---

(١) منتخب الأثر: ٣٩٢.

(٢) معجم رجال الحديث ١٣: ١٨٦.

التوجيه أقرب إلى الواقع .

مرض السمري وبقي في مرضه أياماً ، وقد دخل عليه بعض الشيعة فقالوا له : من وصيّك من بعدك ؟

فأجابهم : لله أمر هو بالغه .

انتقل إلى جوار الله تعالى سنة (٣٢٩هـ) في النصف من شهر شعبان[١] .

ولاية الفقهاء

أقام الإمام المنتظر عليه السلام الفقهاء العظام من شيعته ولاةً ونوّاباً عنه ، وأمر شيعته بالرجوع إليهم والتحاكم عندهم ، فقد جاء في رسالته التي بعثها إلى الشيخ المفيد : « **أَمّا الْحَوادِثُ الْواقِعَةُ فارْجِعُوا فِيها إِلىٰ رُواةِ حَدِيثِنا ، فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ ، وَأَنا حُجَّةُ اللهِ عَلَيْكُمْ** »[٢] .

وقد ذكرنا عرضاً لذلك في كتابنا (حياة الإمام محمّد المهدي عليه السلام) .

الغيبة الكبرى

وتقلّد الفقهاء العظام النيابة عن الإمام المنتظر عليه السلام وإليهم ترجع الشيعة فيما يفتون به من أحكام ، ومن الجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام كانت له عدّة لقاءات مع عيون العلماء والمتّقين ، كان منهم العالم الكبير والثقة الأمين الشيخ المفيد رحمه الله ، فقد كانت له عدّة مراسلات معه ، وقد تلقّى منه ثلاث رسائل ذكرنا بعضها في كتابنا (حياة الإمام محمّد المهدي عليه السلام) .

---

(١) الغَيبة (الطوسي) : ٢٤٢ .

(٢) وسائل الشيعة ـ كتاب القضاء ١٨ : ١٠١ .

تساؤلات

وتواجه قصّة الإمام المنتظر عليه السلام عدّة تساؤلات كان منها ما يلي :

الأوّل : امتداد عمره

وكثر التساؤل عن امتداد عمر الإمام عليه السلام ، وأنّه كيف عاش هذه المدّة التي تزيد على ألف ومائة وما يزيد على خمسين عاماً ؟ ولا يخضع لأعراض الشيخوخة والهرم الذي هو ظاهرة طبيعيّة للإنسان ، فإنّ أنسجة جسمه وخلاياه تتصلّب بالتدريج ، وكلّما امتدّ عمر الإنسان فإنّها لا بدّ أن تتعطّل ، وذلك لصراعها مع الميكروبات أو التسمّم الذي يتسرّب إلى جسم الإنسان من خلال ما يتناوله من غذاء مكثّف أو غيره الأمر الذي يؤدّي إلى مفارقته للحياة .

والجواب عن هذا السؤال

١ ـ أنّ إطالة عمر الإنسان أمر ممكن عقلاً وليس مستحيلاً كشريك الباري أو كون الشيء في آن واحد فرداً وزوجاً ، وإنّما كصعود الإنسان إلى القمر أو إلى أي كوكب آخر ، فإنّه ممكن عقلاً ، وقد تحقّق ذلك على مسرح الحياة بعد أن تهيّأت الأسباب الطبيعية للإنسان ، فإطالة عمر الإمام عليه السلام أمر ممكن علميّاً وخارجياً ، وذلك بمشيئة الخالق العظيم ، فإنّه تعالى بإرادته يعزل الأنسجة التي يتكوّن منها جسم الإنسان عن المؤثّرات الخارجية التي تسبّب هرم ا لجسم وفناءه ، ومضافاً لذلك فإنّ نبيّ الله نوحاً قد مكث في قومه يدعوهم إلى كلمة التوحيد ألف سنة إلّا خمسين عاماً حسب ما نطق به القرآن الكريم ، فلماذا نؤمن بإطالة عمر نوح ولا نؤمن بإطالة عمر الإمام المنتظر ، وكلّ منهما موكّل بالإصلاح الاجتماعي ؟

٢ ـ لو سلّمنا مجاراة أنّ إطالة عمر الإنسان مئات السنين أو آلاف السنين غير ممكن عقلاً؛ لأنّ فيه تعطيلاً للقوانين الطبيعية التي تقضي بهرم الإنسان وفنائه، إلّا أنّ ذلك غير ممكن بالنسبة لنا، أمّا بالنسبة إليه تعالى فإنّه من أبسط الأُمور وأهونها عنده، فقد جعل النار التي هي علّة تامّة للإحراق برداً وسلاماً على شيخ الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وكذلك فلق البحر لنبيّه موسى عليه السلام مع قومه وأنقذهم من الغرق وأغرق فرعون وجنوده.

إن إرادة الله تعالى إذا تعلّقت بشيء فإنّها تقلبه من العدم إلى الوجود، ألم يخرج الله تعالى نبيّه العظيم محمّداً صلى الله عليه وآله من داره حينما أحاطت به قريش التي أرادت تصفيته جسدياً فخرج من بين أيديهم وهم لا يبصرون.

الثاني: لماذا هذا العمر المديد؟

وثمّة سؤال آخر طرح على ساحة الموضوع، وهو لماذا هذا العمر المديد الذي منحه الله تعالى للإمام المنتظر، ولِمَ لا يكون عمره كعمر آبائه الأئمّة الطاهرين؟

والجواب على ذلك:

إنّ الله تعالى خصّ الإمام المنتظر عليه السلام بإصلاح العالم بأسره، وأوكل إليه إنقاذ المجتمع الإنساني من التيارات المظلمة التي تعصف بحياته، وتجعله في متاهات سحيقة من مجاهل هذه الحياة، فالإمام المنتظر هو المصلح العام لجميع شعوب العالم وأُمم الأرض، فلا بدّ أن تمرّ به الأدوار المظلمة التي يعاني منها الإنسان ويشاهد فصولها؛ ليكون هو المنقذ الأخير الذي يفجّر النور ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

الثالث: لمـــاذا لم يظهر ؟

من الأسئلة التي طرحت حول غيبة الإمام عليه السلام وهو لماذا لم يظهر، ويقيم حكم الله تعالى في الأرض ؟

والجواب على ذلك:

هو أنّ أمر ظهوره لم يكن خاضعاً لإرادة الإنسان ورغباته، وإنّما هو بيد الخالق العظيم، فقد أرسل الله تعالى عبده ورسوله محمّداً صلى الله عليه وآله إلى العالم بعد مـرور خمسـة قرون من الجـاهلية، وذلك بـعد مـا تحـقّق المـناخ المـناسب والجـوّ العـامّ لأداء رسالته، وكذلك قيام الإمـام المـهدي عليه السلام إنّمـا يخـرج حسب تحـديد الله تـعالى، وذلك بأن يهيّئ له مناخاً شاملاً بجميع أنحاء الأرض حتى يـبعثه الله تـعالى ليـقيم العدل الخالص بين عباده.

الرابع: كيف يمكن قيامه بإصلاح العالم ؟

من الشبه التي أُثيرت حول الإمام المنتظر عليه السلام أنّه كيف يقوم بإصلاح العالم، ويغيّر منهج الحياة العامّة المليئة بالظلم والجور إلى منهج آمن مستقرّ لا ظـلّ فـيه للـغبن والطغيان والاستبداد ولا شبح فيه للفقر والحرمان ؟

والجواب على ذلك:

إنّه أمر ممكن، فإنّ الأنظمة العالميّة والأحداث الجسام التي غيّرت منهج الحياة يستند إلى الأفراد من عظماء البشرية أو الجـماعة، فـالنبيّ العـظيم محـمّد صلى الله عليه وآله هـو الذي رفع رسالة الله عالية خفّاقة لا الأعـمام والأخـوال، فـقد نـاهضته قـبائل قريش وذؤبـان العـرب ومـردة أهـل الكـتاب، فـاستطاع بـعزمه وإرادتـه أن

يسحقهم ويشيّد صروح التوحيد، وهكذا نبيّ الله موسى عليه السلام الذي دمّر فرعون، ورفع كلمة الله في الأرض، وكذلك نبيّ الله عيسى عليه السلام وغيرهم من رسل الله تعالى، فقد قاموا بدورهم مستقلّين بأداء رسالاتهم الإصلاحيّة، وبذلك يتميّز دور الفرد في ميدان الإصلاح الاجتماعي خلافاً لما ذهب إليه الماركسيّون من إلغاء قيمة الفرد، وأنّه لا أثر له في تغيير مجرى الأحداث وإنّما الأثر للجماعة.

وعلى أيّة حال، فالإمام المنتظر عليه السلام كجدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يقوم بتغيير مناهج الحياة القائمة على الظلم والعدوان، فينقذ الإنسان ممّا أحاط به من المحن والأزمات وينشر الأمن والاستقرار والمحبّة والوئام بين الناس.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض التساؤلات، وقد ذكرنا الكثير منها مع أجوبتها في كتابنا (حياة الإمام محمّد المهدي عليه السلام).

علامات ظهور الإمام المهدي عليه السلام

أمّا علامات ظهور الإمام المنتظر عليه السلام فقد ألقت الأخبار الأضواء عليها، ونحن نشير إلى بعضها، وهي:

أوّلاً ـ انتشار الظلم

من العلامات البارزة لظهور الإمام عليه السلام هي انتشار الظلم، وشيوع الجور، وانعدام الأمن، وظهور الحاجة والفقر، بحيث تصبح الحياة قاتمة مليئة بالأحداث والخطوب، ويعيش الإنسان على أعصابه من كثرة ما يعانيه من الخوف والإرهاق، وقد خيّمت على المجتمع الحياة الجاهلية بآثامها وشرورها، وتسابق الناس إلى اقتراف المنكر، وعاد الإسلام غريباً كما بدأ، قد جمدت

طاقاته، وأجهزت على مبادئه الدول الكبرى، واستغلّت ثرواته وإمكانيّاته، وجعلته تحت مناطق نفوذها. اسمعوا إلى بعض الأحاديث:

١ ـ روى أبوسعيد الخدري أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «يَنْزِلُ بِأُمَّتِي فِي آخِرِ الزَّمانِ بَلاءٌ شَدِيدٌ مِنْ سُلْطانِهِمْ لَمْ يُسْمَعْ بِبَلاءٍ أَشَدَّ مِنْهُ حَتّىٰ تَضِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ الرَّحْبَةُ، وَحَتّىٰ تَمْلأَ الْأَرْضُ جَوْراً وَظُلْماً، وَلَا يَجِدُ الْمُؤْمِنُ مَلْجأً يَلْتَجِئُ إِلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ، فَيَبْعَثُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلاً مِنْ عِتْرَتِي فَيَمْلأُ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَما مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً، يَرْضىٰ عَنْهُ ساكِنُ السَّماءِ وَساكِنُ الْأَرْضِ، لَا تَدَّخِرُ الْأَرْضُ مِنْ بَذْرِها شَيْئاً إِلَّا أَخْرَجَتْهُ، وَلَا السَّماءُ مِنْ قَطْرِها شَيْئاً إِلَّا صَبَّهُ اللهُ عَلَيْهِمْ مِدْراراً»[1].

حكى هذا الحديث ما يمنى به المسلمون من الخطوب والكوارث من جرّاء حكّامهم وملوكهم الذين يحكمون بالظلم والجور، ثمّ ينقذهم الله تعالى بمهديّ آل محمّد عليه السلام، فيملأ الأرض رحمة وخيراً، ويقضي على جميع أفانين الظلم والجور.

٢ ـ روى عوف بن مالك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «كَيْفَ أَنْتُمْ يا عَوْفُ إِذا افْتَرَقَتِ الْأُمَّةُ عَلىٰ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، واحِدَةٌ مِنْها فِي الْجَنَّةِ وَسائِرُهُنَّ فِي النّارِ؟».

وسارع عوف قائلاً: كيف ذلك؟

فأجابه رسول الله صلى الله عليه وآله عمّا تواجهه أُمّته من الأحداث الجسام قائلاً: «إِذا كَثُرَتِ الشُّرَطُ، وَمَلَكَتِ الْإِماءُ، وَقَعَدَتِ الْجَهَلَةُ عَلَى الْمَنابِرِ، وَاتُّخِذَ الْفَيءُ دُوَلاً، وَالزَّكاةُ مَغْرَماً، وَالْأَمانَةُ مَغْنَماً، وَتُفُقِّهَ فِي دِينِ اللهِ لِغَيْرِ اللهِ، وَأَطاعَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ، وَعَقَّ أُمَّهُ، وَأَقْصىٰ أَباهُ، وَلَعَنَ آخِرُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَها، وَسادَ الْقَبِيلَةَ فاسِقُهُمْ، وَكانَ

---

(١) عقد الدرر: ١١٣.

زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ ، وَأُكْرِمَ الرَّجُلُ اتِّقاءَ شَرِّهِ » .

وأضاف النبيّ صلى الله عليه وآله قائلاً : « ثُمَّ تَجِيءُ فِتْنَةٌ غَبْراءُ مُظْلِمَةٌ ، ثُمَّ تَتْبَعُ الْفِتَنُ بَعْضُها بَعْضاً ، حَتّىٰ يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُقالُ لَهُ : الْمَهْدِيُّ »[1] .

وتحدّثت هذه الرواية عمّا يصيب العالم الإسلامي من التحلّل والفساد وانحراف المسلمين عن مبادئ دينهم العظيم ، فيشيع فيهم الظلم والجور ، وتنتشر فيهم الخطوب والكوارث ، ثمّ ينقذهم الله تعالى بوليّه العظيم الإمام المهدي عليه السلام فيحيي الدين ويقيم معالم الإسلام .

٣ ـ قال صلى الله عليه وآله : « مِنّا مَهْدِيُّ هٰذِهِ الْأُمَّةُ إِذا صارَتِ الدُّنْيا هَرَجاً وَمَرَجاً[2] ، وَتَظاهَرَتِ الْفِتَنُ ، وَتَقَطَّعَتِ السُّبُلُ ، وَأَغارَ بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ ، فَلا كَبِيرَ يَرْحَمُ صَغِيراً ، وَلَا صَغِيرَ يُوَقِّرُ كَبِيراً ، فَيَبْعَثُ اللهُ عِنْدَ ذٰلِكَ مَهْدِيَّنا ، التّاسِعَ مِنْ صُلْبِ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَفْتَحُ حُصُونَ الضَّلالَةِ وَقُلُوباً غُفَّلاً ، يَقُومُ فِي الدِّينِ فِي آخِرِ الزَّمانِ كَما قُمْتُ بِهِ فِي أَوَّلِ الزَّمانِ ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلاً كَما مُلِئَتْ جَوْراً »[3] .

وأعرب هذا الحديث ما تمنى به الحياة العامّة من الفتن والقلق والاضطراب وفقدان المقاييس الصحيحة فينقذ الله تعالى الناس بوليّه العظيم فيبني لهم حياة سعيدة حافلة بالخير والهناء .

ثانياً ـ خروج الدجّال

من بين الأمارات الحتميّة لظهور الإمام عليه السلام خروج الدجّال وظهوره على مسرح

---

(١) كنز العمّال ٦ : ٤٤ ، وقريب منه في العرف الوردي ٢ : ٦٧ .

(٢) الهرج : القتل والقتل . المرج : اضطراب الأُمور وفسادها .

(٣) حياة الإمام محمّد المهدي عليه السلام : ٢٥١ .

الحياة، وقيامه بتضليل الرأي العامّ، وانضمام اليهود إليه، وإغرائه لبسطاء الناس بالأموال، استمعوا لبعض الأحاديث النبويّة في شأنه:

١ ـ روى هشام بن عامر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ما بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إلىٰ قِيامِ السّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجّالِ»[١].

معنى الحديث: أنّ الدجّال من أهمّ الأحداث العالمية، وذلك لما يصحبه من الفتن وإراقة الدماء.

٢ ـ روى أنس بن مالك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ما مِنْ نَبِيٍّ إلّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الدَّجّالَ الْأَعْوَرَ الْكَذّابَ، أَلا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»[٢].

لقد حذّر الأنبياء من فتنة الدجّال الأعور الذي يغري الناس، ويصدّهم عن الحقّ ويلقيهم في شرّ عظيم.

هذه بعض الأخبار التي أُثرت عن النبيّ صلى الله عليه وآله في الأعور الدجّال الذي هو أشرّ مفسد في تاريخ البشرية، وقد ذكرنا أحواله وشؤونه في كتابنا (حياة الإمام محمّد المهدي عليه السلام).

ثالثاً ـ خروج السفياني

من العلامات الحتمية لظهور الإمام المنتظر عليه السلام خروج السفياني، وهو من أعمدة الشرّ والفساد في الأرض، ينتهي نسبه إلى أبي سفيان العدو للإسلام، وقد أدلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بحديث مفصّل عن شؤونه وفتنه وموبقاته ذكرناه في كتابنا (حياة الإمام محمّد المهدي عليه السلام).

---

(١) عقد الدرر: ٣٢٤.

(٢) عقد الدرر: ٣٢٣. صحيح البخاري ٣: ١٢١٤.

رابعاً ـ الرايات السود

من العلائم الحتميّة لظهور الإمام عليه السلام تشكيل جيش إسلامي يرفع الرايات السود، وأكبر الظنّ أنّها إنّما صنعت سوداً حداداً على سيّد الشهداء عليه السلام، وقد تظافرت الأخبار بذلك كان منها ما يلي:

١ ـ روى الحسن بسنده أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد ذكر محناً وبلاءً يلحق بأهل بيته حتّى يبعث الله راية من المشرق سوداء، من نصرها نصره الله، ومن خذلها خذله الله، حتى يأتوا رجلاً اسمه كاسمي فيولّوه أمرهم فيؤيّده الله وينصره[١].

٢ ـ روى ثوبان أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إذا رَأَيْتُم الرّاياتِ السُّودَ قَدْ جاءَتْ مِنْ قِبَلِ خُراسانَ فَأْتُوها، فَإِنَّ فِيها خَلِيفَةَ اللهِ الْمَهْدِيَّ»[٢].

٣ ـ روى جابر عن الإمام أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «تَنْزِلُ الرّاياتُ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ خُراسانَ إِلَى الْكُوفَةِ فَإِذا ظَهَرَ الْمَهْدِيُّ عليه السلام بِمَكَّةَ بَعَثَتْ إِلَيْهِ بِالْبَيْعَةِ»[٣].

إلى غير ذلك من الأخبار التي أعلنت خروج الرايات السود من خراسان أو من المشرق وهي من الأمارات لظهور الإمام عليه السلام.

خامساً ـ النداء من السماء

من العلامات الحتمية لظهور الإمام المهدي عليه السلام نداء ملك في السماء يبشّر بظهوره، ويدعو الناس إلى مبايعته ويخاطب كلّ أُمّة بلغتها، وقد أعلنت ذلك كثير من الأحاديث كان منها ما يلي:

---

(١) حياة الإمام محمّد المهدي عليه السلام: ٢٧٦.

(٢) كنز العمّال ٧: ١٨٢.

(٣) العرف الوردي ٢: ٦٨.

١ ـ روى عبدالله بن عمران أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «يَخْرُجُ الْمَهْدِيُّ وَعَلىٰ رَأْسِهِ عِمامَةٌ وَمَلَكٌ يُنادِي: هذا خَلِيفَةُ اللهِ الْمَهْدِيُّ فَاتَّبِعُوهُ»[١].

٢ ـ قال الإمام الرضا عليه السلام: «إِذا خَرَجَ ـ أي الإمام المنتظر ـ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِهِ، وَوُضِعَ مِيزانُ الْعَدْلِ بَيْنَ النّاسِ، فَلا يَظْلِمُ أَحَدٌ أَحَداً، وَهُوَ الَّذِي تُطْوىٰ لَهُ الْأَرْضُ، وَلَا يَكُونُ لَهُ ظِلٌّ، وَهُوَ الَّذِي يُنادِي مُنادٍ مِنَ السَّماءِ يَسْمَعُهُ جَمِيعُ أَهْلِ الْأَرْضِ بِالدُّعاءِ لَهُ يَقُولُ: أَلَا إِنَّ حُجَّةَ اللهِ قَدْ ظَهَرَ عِنْدَ بَيْتِ اللهِ تَعالىٰ فَاتَّبِعُوهُ، فَإِنَّ الْحَقَّ فِيهِ وَمَعَهُ، وَهُوَ قَوْلُ اللهِ تَعالىٰ: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِنَ السَّمَآءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[٢]»[٣].

٣ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إِذا نادىٰ مُنادٍ مِنَ السَّماءِ إِنَّ الْحَقَّ فِي آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَظْهَرُ الْمَهْدِيُّ لِلنّاسِ، وَيُسَرُّونَ فَلا يَكُونُ لَهُمْ ذِكْرٌ غَيْرُهُ»[٤].

وبهذه المضامين أُثرت كوكبة من الأخبار عن النبيّ صلى الله عليه وآله وعن أئمّة الهدى عليهم السلام، وهي تعلن أنّ من علامات ظهور الإمام عليه السلام نداء مَلك من السماء، ومن المؤكّد أنّ هذا النداء لكلّ أُمّة وشعب بلغته.

سادساً ـ نزول المسيح من السماء

من العلامات الحتميّة لظهور الإمام عليه السلام نزول السيّد المسيح من السماء إلى

---

(١) العرف الوردي ٢: ١١. نور الأبصار: ١٥٥. ينابيع المودّة: ٤٤٧.

(٢) الشعراء: ٤.

(٣) فرائد السمطين ٢: ٣٣٧.

(٤) الملاحم والفتن: ٣٦.

الأرض، ومبايعته للإمام وصلاته خلفه، فإذا رأى النصارى ذلك اعتنقوا الإسلام. استمعوا لبعض الأخبار التي أعلنت ذلك:

١ ـ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ خُلَفائِي وَأَوْصِيائِي الاثْنَي عَشَرَ أَوَّلُهُمْ أَخِي، وَآخِرُهُمْ وَلَدِي».

قيل: يا رسول الله، من أخوك؟

قال ﷺ: «عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ».

قيل: من وَلدك؟

قال ﷺ: «الْمَهْدِيُّ الَّذِي يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَما مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ بَشِيراً لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيا إِلَّا يَوْمٌ واحِدٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذٰلِكَ الْيَوْمَ حَتّىٰ يَخْرُجَ فِيهِ وَلَدِي الْمَهْدِيُّ، فَيَنزِلُ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ فَيُصَلِّي خَلْفَهُ، وَتُشْرِقُ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها وَيَبْلِغُ سُلْطانُهُ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ»[1].

٢ ـ قال رسول الله ﷺ: «يَنْزِلُ عِيْسَى بْنُ مَرْيَمَ عِنْدَ انْفِجارِ الصُّبْحِ. أَبْيَضَ أَصْهَبَ الرَّأْسِ، أَفْرَقَ الشَّعْرِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطِرُ دُهْناً، يُكَسِّرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَنازِيرَ، وَيُهْلِكُ الدَّجّالَ، وَيَقْبِضُ أَمْوالَ الإِمامِ عليه السلام، وَيَمْشِي خَلْفَهُ أَهْلُ الْكَهْفِ، وَهُوَ الْوَزِيرُ الأَيْمَنُ لِلْقائِمِ وَحاجِبُهُ وَنائِبُهُ، وَيَبْسُطُ فِي الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ الأَمْنَ»[2].

لقد تظافرت الأخبار بنزول السيّد المسيح من السماء ومبايعته للإمام وصلاته خلفه، وقيامه بدور إيجابي في مناصرته وتسديده، وقد ذكرنا كوكبة من الأحاديث في هذا الموضوع في كتابنا (حياة الإمام محمّد المهدي عليه السلام).

---

(١) غاية المرام: ٤٣. فرائد السمطين ٢: ٣١٢.

(٢) غاية المرام: ٦٩٧.

هذه بعض العلامات الحتميّة لخروج إمام الحقّ وصوت العدالة الإنسانية، وقد ذكرت علامات أُخرى في مصادر الحديث.

زمان ظهوره عجل الله تعالى فرجه الشريف

والشيء المحقّق أنّ عبادة الإمام المنتظر عليه السلام كعبادة آبائه الأئمّة الطاهرين الذين وهبوا حياتهم لله تعالى، فقد أنفقوا معظم حياتهم في طاعة الله والتبتّل إليه صائمين نهارهم قائمين في لياليهم، قد خلدوا إلى الصلاة والدعاء وقراءة القرآن، وعلى هذا الخطّ المشرق يسير الإمام المنتظر عليه السلام، وقد نقل الرواة كوكبة من أدعيته الشريفة التي كان يدعو بها في صلاته وقنوته، وهي تنمّ عن مدى تعلّقه بالله تعالى وإنابته إليه، وقد ذكرنا بعضها في كتاب (حياة الإمام محمّد المهدي عليه السلام).

أمّا زمان ظهور الإمام عليه السلام فهو يوم السبت عاشر محرّم، وهو اليوم الذي استشهد فيه ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين عليه السلام، كما أعلنت ذلك بعض الأخبار والتي منها:

١ ـ روى أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «يَخْرُجُ الْقائِمُ يَوْمَ السَّبْتِ يَوْمَ عاشُوراءَ، الْيَوْمُ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ الْحُسَيْنُ»[١].

٢ ـ روى عليّ بن مهزيار عن الإمام أبي جعفر محمّد الباقر عليه السلام قال: «كَأَنِّي بِالْقائِمِ يَوْمَ عاشُوراءَ يَوْمَ السَّبْتِ قائِماً بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقامِ بَيْنَ يَدَيْهِ جَبْرَئِيلُ يُنادِي: الْبَيْعَةَ لِلّهِ، فَيَمْلَؤُها عَدْلاً كَما مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً»[٢].

---

(١) كمال الدين ٢: ٢٥٤.

(٢) الغَيبة (الطوسي): ٤٥٣.

إلى غير ذلك من الأخبار التي حدّدت زمان خروجه ومكانه، وقد عرضنا الكثير من شؤون الإمام عليه السلام عند خروجه في كتابنا (حياة الإمام محمّد المهدي عليه السلام).

وبهذا العرض الموجز لحياة أئمّة الهدى ومصابيح الإسلام ينتهي بنا الحديث، وقد ذكرنا بصورة موضوعيّة وعرض شامل لحياتهم التي هي امتداد لحياة جدّهم الرسول صلى الله عليه وآله في موسوعة أهل البيت عليهم السلام.

الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

٣٨٧ ـ ٤١٧

الوليد العظيم ٣٩٠

مراسيم الولادة ٣٩١

إطعام عام ٣٩٢

تباشير الشيعة بولادته عليه السلام ٣٩٣

تسميته عليه السلام ٣٩٣

عرضه عليه السلام على الشيعة ٣٩٣

عبادته عليه السلام ٣٩٤

مُثله العليا ٣٩٤

١ ـ سعة علومه ٣٩٤

٢ ـ زهده عليه السلام ٣٩٦

٣ ـ صبره عليه السلام ٣٩٧

٤ ـ شجاعته عليه السلام ٣٩٧

٥ ـ سخاؤه عليه السلام ٣٩٨

٦ ـ صلابته عليه السلام في الحقّ ٣٩٩

الغيبة الصغرى ٣٩٩

زمان الغيبة ٤٠٠

المكان الذي احتجب فيه ٤٠٠

سفراؤه الممجّدون ٤٠١

١ ـ عثمان بن سعيد رحمه الله ٤٠١

وفاته رحمه الله ٤٠١

تأبين الإمام الحجة عليه السلام له ٤٠١
٢ ـ محمّد بن عثمان رضي الله عنه ٤٠٢
٣ ـ الحسين بن روح رضي الله عنه ٤٠٣
٤ ـ عليّ بن محمّد السمري رضي الله عنه ٤٠٤
ولاية الفقهاء ٤٠٥
الغيبة الكبرى ٤٠٥
تساؤلات ٤٠٦
الأوّل: امتداد عمره ٤٠٦
والجواب عن هذا السؤال ٤٠٦
الثاني: لماذا هذا العمر المديد؟ ٤٠٧
والجواب على ذلك ٤٠٧
الثالث: لماذا لم يظهر؟ ٤٠٨
والجواب على ذلك ٤٠٨
الرابع: كيف يمكن قيامه بإصلاح العالم؟ ٤٠٨
والجواب على ذلك ٤٠٨
علامات ظهور الإمام المهدي عليه السلام ٤٠٩
أوّلاً ـ انتشار الظلم ٤٠٩
ثانياً ـ خروج الدجّال ٤١١
ثالثاً ـ خروج السفياني ٤١٢
رابعاً ـ الرايات السود ٤١٣
خامساً ـ النداء من السماء ٤١٣
سادساً ـ نزول المسيح من السماء ٤١٤
زمان ظهوره ٤١٦
المحتويات ٤١٩